الحمد لله رب العالمين نحمده تعالى حمد المعترف له بالنعمة ونشكره جل وعلا شكر المقر له بالفضل ونشهد أنه الله بشّر نبيه الكريم ﷺ بنصر مبين وفتح قريب ثم أمره بالتسبيح والاستغفار، فقال ﷻ له:

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ .. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

ونشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسولُه نزلت عليه هذه السورةُ في أيام التشريق عام حجه فعرف أنه الوداع فقال لفاطمة:

قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي

ثم ألقى عليه السلام خطبته التي ودّع فيها أمته وأوصى فيها بآخر وصاياه، فاللهم صل وسلم عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار. أما بعد

فيا أيها المؤمنون، في مثل هذه الأيام من كل سنة نحيي ذكرى غزوة بدر الكبرى التي سمى رب العزة يومها يوم الفرقان وهي كما هو معلوم معركة وقعت في رمضان، شهرِ انتصارات المسلمين بامتياز. وإن من هذه الانتصارات الخالدة والتي ربما يغفل عنها كثير من الناس، فتح مكة، الذي وقع في مثل يومنا هذا وبالذات في العشرين من رمضان سنة ثمان للهجرة. وسبب وقوع هذا الفتح أنه كان من بنود صلح الحديبية أن من أراد الدخول في حلف المسلمين دخل، ومن أراد الدخول في حلف قريش دخل، فدخلت خزاعة في عهد الرسول

ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش إلا أن هؤلاء سرعان ما خانوا العهد فأغاروا على أولائك بإعانة من قريش، فلما بلغ ذلك نبي الله ﷺ أمر المسلمين بالتهيؤ للغزو وأعلمهم أنه سائر إلى مكة فغادر المدينة في عشرة آلاف من الجنود ولما بلغ الجحفة لقي عمَّه العباس مهاجرا إليه بعياله، ثم لقي أبا سفيان فأسلم لما رآه من قوته وعدده. ثم إن الرسول ﷺ فتح مكة من غير قتال يذكر، وكان حين دخوله إياها متواضعا خاشعا مطأطئا رأسه حتى إذا دخل المسجد واستلم الحجر، أخذ يحطم الأصنام التي كانت فيه وحوله ويقول :

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا .. قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ

ثم طاف بالبيت وصلى فيه ثم رد مفاتحه إلى أصحابها في شخص عثمان بن طلحة ثم خرج وقريشٌ صفوفاً ينتظرونه، فوقف على باب الكعبة وقال **ما تظنون أني فاعل فيكم**، قالوا "أخ كريم وابن أخ كريم" فقال **فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوانه "لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء"** . ولا طائل من رواية كل ما ورد في هذا الفتح من أخبار، فالأصل أن نستخلص منه بعض العبر لا غير، وإلا فتفاصيله في كثير من الكتب يستطيع كل واحد منا أن يرجع إليها فينهل منها، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين ويرحم الله عبدا قال آمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. لقد حصل بهذا الفتح المبين خير كثير إذ أعز الله به الدين وأهلَه ودحر به الكفر وأصحابه ثم إنه مكن المستضعفين من أهل مكة من الإعلان عن دينهم حيث كانوا يكتمونه مخافة بطش قريش، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وتقوّى إيمان المؤمنين بتحقق وعد الله لهم حين قال إثر صلح الحديبية وقد تزلزل بعضُهم جراءَه:

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ

ثم إن من أهم دِلالات فتح مكة موقفه ﷺ من أهلها الذين عادَوْهُ لسنوات طوال فإذا به يصفح ويعفو! وهنا يستوقفني أمرُه ﷺ بإهدار دم بعض المشركين وأمره بقتلهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة! أقول تُرى ما فعلوا لينالوا جزاءً قاسيا من رجل عرف بلينه واشتهر برأفته وعفوه وأجيب لا شك أنه ﷺ كانت له مبررات جعلته يقف هذا الموقف الصلبَ المقرَّ لحكم الإعدام الذي يراد له في هذه الأيام أن يلغى! نعم إن ديننا الحنيف يرفض رفضا باتا قتل العبث ورسوله، الرحمة المهداة، ﷺ، يقول:

ادْرَءوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الإِمَامَ أن يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ

ولكن هل يعني هذا جوازَ السعي لإلغاء حكم من أحكام الله والتشطيب عليه بالمرة؟ فأين سنضع إذن قوله ﷻ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى

فالأولى بنا، بدل أن نعمل من أجل إقصاء آيات محكمات من كتاب الله أن نجتهد في درء كل صور الظلم وأن نخلص في عملنا لتنقية الأجواء في المحاكم حتى لا يُستعمل هذا الحكم في تصفية حسابات ضيقة أو بطريقة لا يقرها لا عقل ولا دين؛ لا بد من أن توضع المساطر اللازمة لإلغاء الجور وتجنب قتل الأبرياء، دون أن يصبح طبعا ذلك تشجيعا للمجرمين والمارقين في زرع الرعب في صفوف الآمنين والأتقياء..

إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

اللهم احفظنا من ظلم الظالمين ونجنا من كيد الكائدين واجعل ديننا دين عز ورفعة يا رب العالمين. اللهم احفظ أمير المؤمنين بما حفظت به الذكر الحكيم واجعل كل ما يقوم به ويسعى إليه لصالح الوطن والدين، اللهم اجعل قرة عينه في الصلاة وسعادة قلبه في صلاح ولي عهده ورشدِ كل أسرته وشعبه. اللهم كن لنا الولي والنصير والمعين والظهير وارحم ضعفنا يا عالما بأحوالنا يا خبير، وصل اللهم وسلم وبارك على البشير النذير وآخر دعوانا أن الحمد لله العلي الكبير.